قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (7)، اكتوبر 2021م، 54-79

© 2021 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

مقاصد التحوّل في خطاب التعجيز في القرآن الكريم[*]

هنادة أحمد محمد رشاد،[1] نايل ممدوح أبوزيد[2]

(The Purposes of Changing in Challenging Discourse in the Holy Quran)

Hunada Ahmad Rashad, Nail Mamdouh Abu Zaid

ABSTRACT

This research project discusses the close relationship between changes in Quranic discoure and Quranic objectives in the context of inimitability and insuperability. Allah has challenged the human mind with the Quran and made it the miracle of Islam until the day of resurrection. Miraculousness is visible in the start of address, therefore there must be a reason in using different forms of rhetoric, considering that this miraculousness extends to challenge human generations to the end of time. As for the purpose of this research: it aims to uncover the wisdom behind different forms of Quranic address in the context of challenge. The study has uncovered a new side of Quranic miraculousness, for in the Arabic language change in address serves to elevate literature to a higher form, where in the Quran it masterfully turns the mind towards Quranic objectives.

Keywords: *Quranic Purposes, Quranic Rhetoric, Quranic Miraculousness.*

ملخص

يتناول مشروعُ البحث دراسةَ العلاقة الوثيقة بين التحوّل في الخطاب في القرآن الكريم ومقاصد القرآن الكريم في سياقات خطاب التعجيز. فلقد تحدّى الله تعالى العقل البشري بالقرآن، وجعله معجزة الإسلام إلى يوم يبعثون، وورد هذا

[*] This article was submitted on: 17/04/2021 and accepted for publication on: 31/08/2021.

[1] طالبة دكتوراه في كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة hunada2000@gmail.com

[2] أستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة <nabuzaid@sharjah.ac.ae>

الإعجاز ابتداءً بالخطاب، لذا لا بدّ أن تكون هناك حِكَمٌ في تلوين أساليب الخطاب؛ لأنّ الإعجاز ممتدّ في تحدّي البشرية إلى نهاية أجيالها على وجه الأرض. أمّا الهدف من هذا البحث فهو الكشف عن حِكَم التحوّل في الخطاب في سياق التحدّي.وأسفرت الدراسة عن جانب جديد للإعجاز في القرآن الكريم، فإذا كان الالتفات في اللغة لغرض بلاغي بديعي لجمال اللفظ، فله غرض آخر في القرآن الكريم، ألا وهو التفات الذهن إلى أحد مقاصد القرآن الكريم.

كلمات دالَّة: مقاصد القرآن، الخطاب القرآني، الإعجاز القرآني.

1- مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، منزل الكتاب والحكمة ليعلّمنا ما ينفعنا ويهدينا إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإنّ المتأمّل في هذا القرآن الكريم ليجد أنّ التنوّع في الخطاب دِلالةٌ على إعجاز نظمه وسبك معانيه فوق الطاقة البشرية، ويقف الذهن عاجزاً أمام روعة نظمه، متأمّلاً في حكمة بيانه، يبيّن لنا الحلال والحرام، ويحلّ لنا الطيّبات، ويحرّم علينا الخبائث، ويدعونا للتأمّل في آياته.

ومن هذه الآيات العظيمة تلوّن أساليب مخاطباته في آيات التحدّي المُعجزة بنسق يبهر السامع، ويحثّه على التفكّر في عظمته؛ ليثبت عجز البشر أمامه إلى القيامة ، ومن أمثلته قوله تعالى :

" فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ "[البقرة: 23]

"لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ "[الإسراء: 88]

"فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ " [الطور: 34].

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى التأمّل والتفكّر في أسلوب التعجيز في خطاب القرآن الكريم، إذ يسعى البحث إلى بلوغ الاهداف الآتية:

1. التعريف بالسياقات التي ورد فيها خطاب التعجيز .
2. التعريف بألوان التحوّل في خطاب التعجيز في السياقات المختلفة.
3. الحكمة من وراء هذا التلوين في الخطاب، كما يتطرّق البحث إلى آيات التحدّي الخمسة التي وردت في القرآن الكريم، والنظر في أسلوبها والمقارنة بينها وبالأخصّ ما ورد في العهد المكّي ثمّ العهد المدني.

مشكلة البحث:

أسلوب الخطاب في القرآن الكريم أسلوب عميق الأثر يخاطب النفس البشرية بحساسية بالغة، يناسب عقل المخاطَب، ويتنوّع بحسب موضوع الخطاب. ومع الجمال الذي يضفيه التنوّع على أساليب الخطاب إلا أنّه لا يجري عبثاً، وحاشا لكلام الله أن يجري عبثاً، وإنّما تكمن وراءه الدُّرَر الحكم التي يجب على الباحث أن يستنبطها.يلحظ المتأمل في خطاب التعجيز سمة التحول في الأسلوب و يتساءل :

1. لماذا التحول في أسلوب الخطاب في سياق التعجيز و هل هو فقط لجمال الأسلوب أو تنبيه المخاطب؟
2. ماهي السياقات التي ورد فيها خطاب التعجيز؟
3. ما علاقة التحول في أسلوب خطاب التعجيز و بين مقاصد الخطاب ؟

أليس في طرح هذه الأسئلة إثارة جديدة في موضوع مهم ينبه المفسرين إلى أهمية دراسة الخطاب القرآني و تحوله في السياق وعلاقته بالمقاصد الأصلية في الخطاب؟ إن التدبر في القرآن الكريم يكفي للإجابة على هذه التساؤلات ، فالله – سبحانه وتعالى – يقول: {مَّا فَرَّطنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ,} [الأنعام: 38] الدراسة ستجيب بإذن الله عن حكمة التحوّل في خطاب التعجيز ومقاصده دون غلوّ أو لَيٍّ لعنق النصّ.

منهجية البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة تم اتباع المنهج الاستقرائي في خطاب التعجيز في القرآن الكريم للتعرف على السياقات التي ورد فيها، و المنهج التحليلي للكشف عن دلالة التحول في أسلوب الخطاب ، وذلك باستقراء أقوال المفسرين من أصحاب المناهج المختلفة ثم الربط بين أقوال المنهج اللغوي و أقوال غيرهم من المفسرين بحسب نوع الخطاب.

التعجيز لغة:

عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجزُ نقيض الحزم. وعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزاً فهو عاجزٌ ضعيفٌ والعجوز: المرأة الشيخة. ويُجْمَعُ عجائز، والعَجُزُ: مؤخّر الشيء، وجمعه أعجاز. والعجوز: الخمر. والعجوز: نصل السيف.

وَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ –تَعَالَى– شَيْءٌ، أَيْ لَا يَعْجِزُ اللَّهَ –تَعَالَى– عَنْهُ مَتَى شَاءَ. وَفِي الْقُرْآنِ: {لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} [الجنّ: 12].

وَ(أَعْجَزَهُ) الشَّيْءُ فَاتَهُ. وَ(عَجَّزَهُ تَعْجِيزًا) ثَبَّطَهُ أَوْ نَسَبَهُ إِلَى الْعَجْزِ. وَ(الْمُعْجِزَةُ) وَاحِدُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[3].

وأمّا المعاجزة فإنّها المفاعلة من العجز، ومعناه: مغالبة اثنَين أحدهما صاحبه أيّهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره، وَأَمَّا التَّعْجِيزُ: فَإِنَّهُ التَّضْعِيفَ، وَهُوَ التَّفْعِيلُ مِنَ الْعَجْزِ[4].

التعجيز في اصطلاح المفسّرين:

---

[3] Al-Farāhīdī, Abū ʻAbd al-Raḥman al-Khalīl bin Aḥmad bin ʻAmrū bin Tamīm al-Baṣarī. (n.d). *Al-ʻAin.* Taḥqīq: Mahdī al-Makhzūmī wa Ibrāhīm al-Sāmarā'i (vol.1) Lubnan: Dār wa Maktabat al-Hilāl wa Ibn Fāris, Aḥmad bin Fāris Zakariyā al-Qazwīnī al-Rāzī. (1979). *Mu'jam Maqāyīs al-Lughah.* (vol.4) Taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muḥammad Ḥārūn. Beirūt: Dār al-Fikr wa Al-Rāzī, Zayn al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Abu Bakr bin Abd al-Qādir al-Ḥanafī. (1999). *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ*. Taḥqīq: Yūsuf al-Syeikh Muḥammad. (5th ed) Beīrūt: al-Maktabah al-ʿAṣrīyah al-Dār al-Namūdhajīyah, p.201.

[4] Al-Ṭabarī, Abū Ja'far, Muḥammad bin Jarīr bin Yazīd bin Kathīr bin Ghālib al-Āmalī. (2000). *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qurān* (1st ed, vol. 18). Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Syākir. Beīrūt: Muassasah al-Risālah, p. 662 wa Ibn Juzayy, Muḥammad bin Aḥmad bin Muḥammad bin ʻAbd Allāh al-Kalbī al-Gharnāṭī (1996) *Al-Tashīl li ʻUlūm al-Tanzīl.* (1st ed, vol. 1)Taḥqīq: ʻAbd Allāh al-Khālidī. Beirūt: Syarikah Dār al-Arqam bin Abī al-Arqam, p. 373.

التعجيز يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطَب، كقوله تعالى: {فَادْرَءوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ} [آل عمران: 168]، ونحوه[5].

وقد تدخل اللام على فعل الأمر لتفيد خطاب التعجيز أو التحدّي، كَقَوْلِه تَعالَى: {فليأتوا بِحَدِيث مثله}، وهي لامُ التَّعْجِيزِ، نَحْوُ قَولِه تَعالَى: {فليرتقوا فِي الْأَسْبَاب}[6].

ومن أمثلة خطاب التعجيز كذلك:

{قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ}.

{قل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا}، حَيْثُ يَقْتَضِي بِالْأَمْرِ فِعْل مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمُخَاطَبُ.[7]

وقوله تعالى: {قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حديدًا} المعنى: قل لهم يا محمّد كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعةَ التأتّي، لا بدّ من بعثكم، وقوله{كُونُوا} هو الذي يسمّيه المتكلّمون التعجيز من أنواع لفظة افعل[8]. وإنّ خطاب التعجيز في القرآن الكريم قد يكون في الزمن الحاضر، وقد يكون في المستقبل في يوم القيامة {سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41)} [القلم: 40، 41].

وقد أورد السيوطي في كتابه معترك الأقران وجوه مخاطبات القرآن الكريم وعدّها من وجوه الإعجاز في الكتاب الحكيم[9].

---

[5]Ibn ʿAṭiyyah, Abu Muḥammad ʿAbd Al-Ḥaq Bin Ghālib Bin ʿAbd al-Raḥman bin Tamām al-Andalusī al-Muḥarī (2001). *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (1st ed, vol.3) Taḥqīq: Abd Al-Salām Abd Al-Shāfī. Beīrūt: Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, p.462

[6] Al-Zabīdī, Muḥammad bin Muḥammad bin ʿAbd al-Razāk (1993) *Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs.* (1st ed, vol.33) Beirūt: Dār al-Fikr, p.453

[7] Al-Zarkashī, Muḥammad bin ʿAbd Allāh. (1957) *Al-Burhān fi ʿUlūm al-Qur'ān* (1st ed, vol.2) Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Miṣr: Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʿArabiyyah, p.251 wa Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Rahman bin Abī Bakr (1957). *Al-Itqān fi ʿUlūm al-Qur'ān.* (vol.3) Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. Miṣr: Al-Hai'ah al-Misriyyah al-ʿĀmah lil Kitāb, p.115 wa Ibn ʿAqliah, Muḥammad bin Aḥmad bin Sa'īd al-Ḥanafī al-Makkī Shams al-Dīn (2006) *Al-Ziādah wa al-Iḥsān fi Ulūm al-Qurān* (1st ed, vol.5) Taḥqīq: Majmu'ah min al-Muḥaqqiqīn. Al-Imārāt: Markaz al-Buḥūth wa al-Dirāsāt Jāmi'ah al-Shāriqah, p. 261.

[8] Ibn ʿAṭiyyah, *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (vol.3), p.462.

[9] Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥman bin Abī Bakar Jalāl al-Dīn (1988) *Mu'tarak al-Aqrān fi I'jāz Al-Qur'ān (I'jāz Al-Qur'ān wa Mu'tarak al-Aqrān),* (1st ed, vol.1) Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, p.179.

2- سياقات خطاب التعجيز في القرآن الكريم

وقد ورد التعجيز في سياقات مختلفة منها:

1- في سياق إثبات قدرة الله تعالى ووحدانيته في الربوبية والعبودية {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)} [الحج: 73، 74].

وبدأ تعالى ينفي الخلق والاختراع عنهم من حيث هي صفة ثابتة له مختصّة به، فكأنّه قال: ليس لهم صفتي، ثمّ ثنّى بالأمر الذي بلغ بهم غاية التعجيز، وذكر تعالى أمر سلب الذباب؛ لأنّه كان كثيراً محسوساً عند العرب [10].

ويلحظ المتأمّل تحوّل الخطاب في الآيات التي ضُرب فيها مثل في القرآن الكريم في هذه الآية إلى الفعل المبني للمجهول، فَلَمْ يُذْكَرْ لَهُ فَاعِلٌ بِعَكْسِ مَا فِي الْمَوَاضِعِ الْأُخْرَى الَّتِي صُرِّحَ فِيهَا بِفَاعِلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا} في [الْبَقَرَةِ: 26]، و{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَمْلُوكاً} فِي[النَّحْلِ: 75]، و{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا} فِي[الزُّمَرِ: 29]، و{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ} فِي [النَّحْلِ: 76]. إِذْ أُسْنِدَ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ وَغَيْرِهَا ضَرْبُ الْمَثَلِ إِلَى اللَّهِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: [فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ] فِي [النَّحْلِ: 74]، {وضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} فِي [يس: 78]، ذكر العديد من المفسرين أن الخطاب في{يا أَيُّهَا النَّاسُ} لجميع المكلَّفين ثمّ تحوّل الخطاب إلى الكفّار، وهذا التحوّل يفيد في لفت انتباه المكلَّفين أو المؤمنين، إذ ناداهم سبحانه ليبيّن لهم ضعف حُجّة الكافرين وعجز آلهتهم، فالله تعالى عندما يقول استمعوا أي تدبّروا كيف جعل الكفّار لله مثلاً فاستمعوا لحاله وما يقال فيه، إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَإِنِ اجْتَمَعَتْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَى خَلْقِ ذُبَابَةٍ عَلَى ضَعْفِهَا، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ جَعْلُهَا مَعْبُودًا[11]؟!

---

[10] Ibn ʿAṭiyyah, *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (vol.4), p.134

[11] Al-Alūsī, Maḥmūd bin ʿAbdullāh (1994) *Rūḥ al-Maʿānī (Tafsīr al-Alūsī).* (1st ed, vol.9) Taḥqīq: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭīyyah. Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyyah, p.191 wa Al-Rāzī, Muḥammad bin 'Umar bin al-Ḥasan (1999) *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr (al-Rāzī),* (3rd ed, vol.23) Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al-'Arabī, p.251.

فالابتداء بخطاب الناس جميعاً، ثمّ التحوّل إلى الكفّار الذين يدعون غير الله يفيد زيادة في المعنى، وهو انتباه الناس والمؤمنين إلى ضعف حُجّة هؤلاء الكفّار، ومخاطبة الكفّار تفيد دعوتهم إلى التأمّل في آلهتهم زيادةً في خطاب التعجيز والتحدّي لهم، والفعل المبني للمجهول يفيد المعنيَين، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى أو المثل الذي جعله الكفّار لله تعالى.

2- في سياق إثبات ضعف الشركاء الذين ادّعى المشركون أنّهم يُعبدون مع الله {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195)} [الأعراف: 191 – 195].

يخبر الله تعالى -كما يقول الرازي- أنّ "الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَوْثَانَ لَا تَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ"[12]. وأنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي تعبدونهم وتسمّونهم آلهة من دون الله عِبادٌ أَمْثالُكُمْ وقوله{عِبادٌ أَمْثالُكُمْ}استهزاءٌ بهم، أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياءً عقلاء، فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم[13].

والخطاب للمشركين بطريق الالتفات بدلالة ما بعد، وفيه إيذانٌ بمزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت، أي وإن تدعوا الأصنام أيّها المشركون إلى أن يرشدوكم إلى ما تحصّلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره لا يتّبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم ولا يقدرون على ذلك.[14]

3- في سياق خطاب تعجيز من المؤمنين للكفّار إثباتاً لضعفهم، كقول نوح -عليه السلام- لقومه في سورة يونس{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ

[12] Al-Rāzī, *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr*, (vol.15), p.430.

[13] Al-Zamakhsharī, Maḥmūd bin ʻUmar (1986). *Al-Kashāf ʻan Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl wa ʻUyūn al-Aqāwīl fī Wujūh al-Taʼwīl.* (3rd ed) Beirūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

[14] Al-Alūsī, *Rūḥ al-Maʿānī.* (vol. 5), p.134.

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)} [يونس: 71 – 73]. قِيلَ: "مَعْنَاهُ تَوَجَّهُوا إِلَيَّ بِالْقَتْلِ وَالْمَكْرُوهِ. وَقِيلَ: فَاقْضُوا مَا أَنْتُمْ قَاضُونَ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ السَّحَرَةِ لِفِرْعَوْنَ: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ} [طَهَ: 72]، أَيِ: اعْمَلْ مَا أَنْتَ عَامِلٌ، وَلا تُنْظِرُونِ: وَلَا تُؤَخِّرُونَ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ التَّعْجِيزِ، أَخْبَرَ الله عن نوح صلاة الله وسلامه عليه أَنَّهُ كَانَ وَاثِقًا بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ كَيْدِ قَوْمِه، عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لَيْسَ إِلَيْهِمْ نَفْعٌ وَلَا ضُرٌّ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ". وعليه فيكون التحوّل في الخطاب زيادة لهم في التوبيخ.

4- في سياق خطاب معاجزة الكفّار لرسلهم، كقوله تعالى في سورة إبراهيم عن الكفّار يعاجزون الرسل: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10)} [إبراهيم: 10].

ففي الآيات الكريمة خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشكّ فيه ولا يصلح الريب فيه {يَدْعُوكُمْ} إلى منافعكم ومصالحكم، {لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي: ليثيبكم على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدعكم لينتفع بعبادتكم، بل النفع عائد إليكم.

فردّوا على رسلهم ردّ السفهاء الجاهلين {قَالُوا} لهم: {إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا} أي: فكيف تَفضلوننا بالنبوّة والرسالة، {تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} فكيف نترك رأي الآباء وسيرتهم لرأيكم؟ وكيف نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟ {فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} أي: بحُجّة وبيّنة ظاهرة، ومرادهم بيّنة يقترحونها هم، وإلا فقد تقدّم أنّ رسلهم جاءتهم بالبيّنات[15].

أَرَادُوا إِفْحَامَ الرُّسُلِ وتحويل موضوع الخطاب من الدعوة إلى توحيد الله تعالى والحُجّة التي وضعها الرسل نصب أعينهم وقَطْعِ الْمُجَادَلَةِ النَّظَرِيَّةِ، ليتحدّثوا عن نفي اخْتِصَاصَ الرُّسُلِ

[15] Al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥman bin Naṣir bin 'Abd Allah. (2000). *Taisir al-Karīm al-Raḥman fi Tafsīr Kalām al-Manān.* (1st ed) Taḥqīq: 'Abd al-Raḥman bin Mu'allā al-Luwaiḥiq. Beirūt; Muassasah al-Risālah, p.422.

بِشَيْءٍ زَائِدٍ فِي صُورَتِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ يُعْلَمُ بِهِ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ بِأَنْ جَعَلَهُمْ رُسُلًا عَنْهُ، وَهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ يَحْسَبُونَ أَنَّ هَذَا أَقْطَعُ لِحُجَّةِ الرُّسُلِ؛ لِأَنَّ الْمُمَاثَلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ مَحْسُوسَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَطْوِيلٍ فِي الِاحْتِجَاجِ، فَلِذَلِكَ طَالَبُوا رُسُلَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِحُجَّةٍ مَحْسُوسَةٍ تُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَهُمْ لِلرِّسَالَةِ عَنْهُ، وَحُسْبَانُهُمْ بِذَلِكَ التَّعْجِيزُ[16]. أي إنّكم لا تفعلون ذلك أبداً[17]، وهذه من صفات الكفّار أنّهم يعاجزون الأنبياء والمؤمنين.

وقد ذمّهم في هذه الصفة فقال سبحانه:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)[18] [الحج: 49 – 51].

"وقوله: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} يقول: والذين عملوا في حججنا فصدّوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه، وقال في آياتنا فأُدخلت فيه في كما يقال: سعى فلان في أمر فلان.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: {مُعاجِزِينَ} فقال بعضهم: معناه: مُشاقّين. ذكر من قال ذلك: حدّثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، أنّه قرأها: {معاجزين} في كلّ القرآن، يعني بألف، وقال: مشاقّين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنّهم ظنّوا أنّهم يُعجزون الله فلا يقدر عليهم. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قَتادة: {فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِين} قال: كذبوا بآيات الله فظنّوا أنّهم يُعجزون الله، ولن يُعجزوه. وَكَانَ مِنْ صِفَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُبَطِّئُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، وَيُغَالِبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَهُ، وَيَغْلِبُونَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ مُعَاجَزَتَهُمُ اللَّهَ. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ

[16] Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol.13) Tūnis, al-Dār al-Tūnisiyyah li Nashr, p.200.

[17] Ibn ʿAṭiyyah, *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (vol.3), p.328.

[18] Al-Ṭabarī, *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qurān* (vol. 18), p.661.

فَمُصِيبٌ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُعَاجَزَةُ فَإِنَّهَا الْمُفَاعَلَةُ، مِنَ الْعَجْزِ، وَمَعْنَاهُ: مُغَالَبَةُ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، أَيُّهُمَا يُعْجِزُهُ فَيَغْلِبُهُ الْآخَرُ وَيَقْهَرُهُ. وَأَمَّا التَّعْجِيزُ: فَإِنَّهُ التَّضْعِيفَ، وَهُوَ التَّفْعِيلُ مِنَ الْعَجْزِ"[19].

5- في سياق بيان علم الله تعالى الذي ليس كمثله شيء كما ورد في خطاب التعجيز من الله تعالى للملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)}" [البقرة: 31 – 32].

في سياق خلق آدم كان للملائكة قصّة تعجّب، وكان لإبليس قصة تمرّد وجحود، ويذكر الله تعالى قول الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها) كَأَنَّهُ تَعَجُّبٌ مِنْ كَمَالِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحَاطَةِ حِكْمَتِهِ بِمَا خَفِيَ عَلَى كُلِّ الْعُقَلَاءِ. أو طَلَباً لِلْجَوَابِ غَيْرُ مَحْذُورٍ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا إِلَهَنَا أَنْتَ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ السَّفَهَ الْبَتَّةَ، وَنَحْنُ نَرَى فِي الْعُرْفِ أَنَّ تَمْكِينَ السَّفِيهِ مِنَ السَّفَهِ سَفَهٌ، فَإِذَا خَلَقْتَ قَوْماً يُفْسِدُونَ وَيَقْتُلُونَ وَأَنْتَ مَعَ عِلْمِكَ أَنَّ حَالَهُمْ كَذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَكَّنْتَهُمْ وَمَا مَنَعْتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَهَذَا يُوهِمُ السَّفَهَ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ الْمُطْلَقُ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَكَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْرَدُوا هَذَا السُّؤَالَ طَلَباً لِلْجَوَابِ[20]، ليأتيهم الجواب في أسلوب التحدّي. ونلحظ في الآيات الكريمة الانتقال من أسلوب الغَيبة في حديث الله تعالى عن نفسه { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} لينقل السامع إلى الحوار بينه وبين الملائكة بصيغة المتكلّم في هذا الجزء من المشهد القرآني { فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }، وهذا أبلغ في التحدّي وإظهار تفوّق علم الله على علم الملائكة وبالأخصّ علم الغيب، وفيه تعليم للمقصود من الخطاب _وهو الجنس البشري_ اختصاص علم الله تعالى بالغيوب، فكيف للبشر أن تطلب علم الغيب عند الجنّ أو النجوم إذ لم تعلمه الملائكة. ومن لطائف قصّة سيّدنا آدم أنّ الملائكة وإبليس استوقفهم خلق سيدنا آدم، فما كان من الملائكة إلا سؤال الله –عزّ وجلّ– عن خلق آدم بإظهار العبودية له تعالى ثمّ الإذعان

[19] *Ibid*

[20] Al-Rāzī, *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr*, (vol.2), p.391.

لعلمه تعالى والاعتراف بقصورهم في العلم، بينما تحدّى إبليسُ الله –عزّ وجلّ– برفضه السجودَ لآدم والتعدّي في طغيانه ليصبح من الكافرين.

6– ورد في سياق بيان ضعف جنس الجّن والجنس البشري، كقوله تعالى في سورة الرحمن: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)} [الرحمن: 31 – 35].

{لاَ تَنْفُذُونَ} لا تقدرون على النفوذ. {إِلَّا بِسُلْطانٍ} إلا بقوّة وقهر وأنّى لكم ذلك، أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السموات والأرض فَانْفُذُوا لتعلموا، لكن لاَ تَنْفُذُونَ ولا تعلمون إلا ببيّنة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم[21]. ونلحظ أنّ الله تعالى في سياق الآيات يتحدّث عن نفسه بأسلوب الغَيبة إلا في الآية التي سبقت آية التعجيز والتحدّي، إذ كان الأسلوب أسلوب المتكلّم بصيغة الجمع؛ زيادة في التفخيم.

(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ) يُقَالُ: فَرَغْتُ مِنَ الشُّغْلِ أَفْرُغُ فُرُوغاً وَفَرَاغاً وَتَفَرَّغْتُ لِكَذَا وَاسْتَفْرَغْتُ مَجْهُودِي فِي كَذَا أَيْ بَذَلْتُهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ يَفْرُغُ مِنْهُ، إِنَّمَا الْمَعْنَى سَنَقْصِدُ لِمُجَازَاتِكُمْ أَوْ مُحَاسَبَتِكُمْ، وَهَذَا وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِمَنْ يُرِيدُ تَهْدِيدَهُ: إِذاً أَتَفَرَّغُ لَكَ أَيْ أَقْصِدُكَ. وَفَرَغَ بِمَعْنَى قَصَدَ[22].

7–كما ورد في سياق بيان كذب أهل الكفر لكفّار بعينهم، كما في قوله تعالى عن اليهود: {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 94].

فقد وردت الآيات الكريمة في سياق الإخبار عن أحوال اليهود وصفاتهم{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ

---

[21] Al-Baiḍāwī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd 'Abd Allāh bin 'Umar bin Muḥammad al-Shairāzī (1997) Anuār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl. (1st ed, vol.5) Taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Raḥman al-Mar'asylī. Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, p. 173.

[22] Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Aḥmad (1964) *Al-Jāmi' li Ahkām al-Qur'ān (Tafsīr al-Qurṭubī)*, Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrahīm Aṭfish (2nd ed, vol.17) Al-Qāherah: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)} [البقرة: 91- 95].

{فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ} بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصّة، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنّه مَن عَلم أنّه من أهل الجنّة اشتاق إليها، وروي أنّهم لو تمنّوا الموت لماتوا، وقيل: إنّ ذلك معجزة للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم دامت طول حياته وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ[23].

"وَأَيًّا مَا كَانَ فَهَذِهِ الْآيَةُ تَحَدَّتِ الْيَهُودَ كَمَا تَحَدَّى الْقُرْآنُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِقَوْلِهِ: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [الْبَقَرَة: 23]. وَإِنَّمَا فُصِلَت هذه الْجُمْلَةُ عَمَّا قَبْلَهَا لِاخْتِلَافِ السِّيَاقِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِلْقَاءُ حُجَّةٍ عَلَيْهِمْ وَالْآيَاتِ السَّابِقَةِ تَفْظِيعٌ لِأَحْوَالِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي كُلٍّ مِنْ ذَلِكَ احْتِجَاجٌ، لَكِنَّ الِانْتِقَالَ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ كَانَ مُحَسَّناً لِلْفَصْلِ دُونَ الْعَطْفِ لَا سِيَّمَا مَعَ افْتِتَاحِ الِاحْتِجَاجِ بِقُلْ"[24].

ونلحظ التحوّل في أسلوب محاورتهم والإخبار عن أحوالهم ليتحدّاهم في أكبر دعوى لهم أنّهم شعب الله المختار، وهذه الدعوى التي تميّزوا بها عن باقي الكفّار. ويذكر المفسّرون هنا أن المقصد إبطال دعوتهم بإبراز إيمانهم القطعي العدم منزلة ما لا قطع بعدمه للتبكيت والإلزام، لا للتشكيك[25].

3- مقاصد التحوّل في خطاب التعجيز للإتيان بمثل القرآن في العهد المكّي والمدني

[23] Ibn Juzayy, *Al-Tashīl li ʻUlūm al-Tanzīl.* (vol. 1), p.91.
[24] Ibn ʻĀshūr, *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* (vol.1), p.614
[25] Al-Alūsī, *Rūḥ al-Maʿānī.* (vol.1), p.327.

تحدّى الله تعالى المكذّبين بالقرآن الكريم بخمس آيات صريحة، أربع منها مكّية وواحدة فقط مدنية، وقد ذكر الرازيُّ مراتبَ التحدّي في تفسيره فقال:

"مَرَاتِبَ تَحَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ سِتَّةٌ، فَأَوَّلُهَا: أَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِكُلِّ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الْإِسْرَاءِ: 88]. وَثَانِيهَا: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ قَالَ تَعَالَى: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ} [هُودٍ: 13]. وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا قَالَ: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه} [الْبَقَرَةِ: 23]. وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ فَقَالَ: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} [الطُّورِ: 34]. وَخَامِسُهَا: أَنَّ فِي تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعَةِ كَانَ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُعَارَضَةِ رَجُلٌ يُسَاوِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَدَمِ التَّعَلُّمِ، ثُمَّ فِي سُورَةِ يُونُسَ طَلَبَ مِنْهُمْ مُعَارَضَةَ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ سَوَاءً تَعَلَّمَ الْعُلُومَ أَوْ لَمْ يَتَعَلَّمْهَا. وَسَادِسُهَا: أَنَّ فِي الْمَرَاتِبِ الْمُتَقَدِّمَةِ تَحَدَّى كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ تَحَدَّى جَمِيعَهُمْ، وَجَوَّزَ أَنْ يَسْتَعِينَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فِي الْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْمُعَارَضَةِ، كَمَا قَالَ: {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}، وها هنا آخِرُ الْمَرَاتِبِ، فَهَذَا مَجْمُوعُ الدَّلَائِلِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَذَّبُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ: {بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ وُجُوهاً:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ كُلَّمَا سَمِعُوا شَيْئاً مِنَ الْقَصَصِ قَالُوا: لَيْسَ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا لَيْسَ هُوَ نَفْسُ الْحِكَايَةِ، بَلْ أُمُورٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لَهَا، فَأَوَّلُهَا: بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى التَّصَرُّفِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَنَقْلِ أَهْلِهِ مِنَ الْعِزِّ إِلَى الذُّلِّ وَمِنَ الذُّلِّ إِلَى الْعِزِّ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْعِبْرَةِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ بِهَا أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَبْقَى، فَنِهَايَةُ كُلِّ مُتَحَرِّكٍ سُكُونٌ، وَغَايَةُ كُلِّ مُتَكَوِّنٍ أَنْ لَا يَكُونَ، فَيَرْفَعَ قَلْبَهُ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ: {لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ} [يُوسُفَ: 111].

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا ذَكَرَ قَصَصَ الْأَوَّلِينَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَغْيِيرٍ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّمْ وَلَمْ يُتَلْمَذْ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ بَعْدَ

أَنْ ذَكَرَ الْقَصَصَ: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشُّعَرَاءِ:192- 194] .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ كُلَّمَا سَمِعُوا حُرُوفَ التَّهَجِّي فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ وَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْهَا شَيْئاً سَاءَ ظَنُّهُمْ بِالْقُرْآنِ. وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ} [آلِ عِمْرَانَ: 7] .

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ الْقُرْآنَ يَظْهَرُ شَيْئاً فَشَيْئاً، فَصَارَ ذَلِكَ سَبَباً لِلطَّعْنِ الرَّدِيءِ، فَقَالُوا {لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً}، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: {كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ} [الْفُرْقَانِ: 32].

والوجه الرَّابِعُ: أَنَّ الْقُرْآنَ مَمْلُوءٌ مِنْ إِثْبَاتِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَالْقَوْمُ كَانُوا قَدْ أَلِفُوا الْمَحْسُوسَاتِ فَاسْتَبْعَدُوا حُصُولَ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَمْ يَتَقَرَّرْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَظَنُّوا أَنَّ مُحَمَّداً عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا يَذْكُرُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْكَذِبِ، واللَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ صِحَّةَ الْقَوْلِ بِالْمَعَادِ بِالدَّلَائِلِ الْقَاهِرَةِ الْكَثِيرَةِ"[26].

وإنّ المتأمل يلحظ في أسلوب الخطاب في آية التحدّي في سورة يونس، وهي قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس : 38].

يلحظ أنّ الآيات قد استهلّت بالإخبار عنهم بصيغة الغائب أنّهم يقولون افتراه، ثمّ يتحوّل الأسلوب ليكونوا حاضرين ويتحدّاهم الله تعالى على لسان رسوله بقوله: {فأتوا بسورة مثله} واستفرغوا استطاعتكم في دعوة كلّ من تصلون له دون الله تعالى، ليصل الخطاب إلى شدته في قوله تعالى: {إن كنتم صادقين}.

لَمَّا ذَكَرَ الله تعالى فِي أَوَّلِ الْآيَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَلِيقُ بِحَالِهِ وَصِفَتِهِ أَنْ يَكُونَ كَلَاماً مُفْتَرىً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَقَامَ عَلَيْهِم هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الدَّلَائِلِ، وهي أنّه مصدّقاً للتوراة والإنجيل، وأنّ فيه أخباراً كثيرة من الغيوب في الماضي أو المستقبل، ثمّ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، فَقَالَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ حُجَّةً أُخْرَى

[26] Al-Rāzī, *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr*, (vol.17) p.255.

عَلَى إِبْطَالِ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ: {قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، حيث تحدّاهم أَنَّ مُحَمَّداً عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَجُلاً أُمِّيّاً، لَمْ يُتَلْمَذْ لِأَحَدٍ وَلَمْ يُطَالِعْ كِتَاباً فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} يَعْنِي فَلْيَأْتِ إِنْسَانٌ يُسَاوِي مُحَمَّداً عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَدَمِ مُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَعَدَمِ الِاشْتِغَالِ بِالْعُلُومِ بِسُورَةٍ تُسَاوِي هَذِهِ السُّورَةَ، وَحَيْثُ ظَهَرَ الْعَجْزُ ظَهَرَ الْمُعْجِزُ، فَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّورَةَ فِي نَفْسِهَا مُعْجِزَةٌ، وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ظُهُورَ مِثْلِ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ إِنْسَانٍ مِثْلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَدَمِ التَّلْمَذِ وَالتَّعَلُّمِ مُعْجِزٌ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ فِي نَفْسِهَا مُعْجِزٌ، فَإِنَّ الْخَلْقَ وَإِنْ تَلْمَذُوا وَتَعَلَّمُوا وَطَالَعُوا وَتَفَكَّرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُمُ الْإِتْيَانُ بِمُعَارَضَةِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ السُّوَرِ، فَلَا جَرَمَ قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَرْتِيبٌ عَجِيبٌ فِي بَابِ التَّحَدِّي وَإِظْهَارِ الْمُعْجِزِ، وهذا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ السُّوَرِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، أَوْ يَخْتَصُّ بِالسُّوَرِ الْكِبَارِ.[27]

وهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ يُونُسَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، فَالْمُرَادُ مِثْلُ هَذِهِ السُّورَةِ؛ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ. وهنا يصبح التحدّث أكبر في أسلوب المواجهة في الخطاب بقوله تعالى: {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}. فَالْمُرَادُ مِنْهُ: تَعْلِيمُ أَنَّهُ كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِتْيَانُ بِهَذِهِ الْمُعَارَضَةِ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهَا، وَتَقْرِيرُهُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا تَعَاوَنَتْ وَتَعَاضَدَتْ صَارَتْ تِلْكَ الْعُقُولُ الْكَثِيرَةُ كَالْعَقْلِ الْوَاحِدِ، فَإِذَا تَوَجَّهُوا نَحْوَ شَيْءٍ وَاحِدٍ، قَدَرَ مَجْمُوعُهُمْ عَلَى مَا يَعْجَزُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: هَبْ أَنَّ عَقْلَ الْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ مِنْكُمْ لَا يَفِي بِاسْتِخْرَاجِ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ فَاجْتَمِعُوا وَلْيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ، فَإِذَا عَرَفْتُمْ عَجْزَكُمْ حَالَةَ الِاجْتِمَاعِ وَحَالَةَ الِانْفِرَادِ عَنْ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ.[28]

- **سورة هود،** يقول عزَّ وجلَّ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [هود : 13، 14]. وهنا التفات من الغَيبة إلى الخطاب.

---

[27] Al-Rāzī, *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr*, (vol.17), p.254.
[28] *Ibid*

يقول الرازي: "ومن المؤكّد أنّ التَّحَدِّيَ بِعَشْرِ سُوَرٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ سَابِقاً عَلَى التَّحَدِّي بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ مِثْلُ أَنْ يقول الرجل لغيره: اكتب عشرة أسطر مثل ما أَكْتُبُ، فَإِذَا ظَهَرَ عَجْزُهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِ اقْتَصَرْتُ مِنْهَا عَلَى سَطْرٍ وَاحِدٍ مِثْلِهِ". [29]

"والتَّحَدِّي بِالسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ وَرَدَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَفِي سُورَةِ يُونُسَ كَمَا تَقَدَّمَ، أَمَّا تَقَدُّمُ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَسُورَةَ الْبَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ، وَأَمَّا فِي سُورَةِ يُونُسَ فَالْإِشْكَالُ زَائِلٌ أَيْضاً؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ مَكِّيَّةٌ، وَالدَّلِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ سُورَةُ هُودٍ مُتَقَدِّمَةً فِي النُّزُولِ عَلَى سُورَةِ يُونُسَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ الْكَلَامُ الَّذِي ذَكَرْنَاه". [30]

ويرى بعض المفسّرين أنّ الترتيب مقصود في القرآن الكريم، وأنّ التحدّي الأول كان على وجه المعاضة والتحدّي الثاني كان على وجه الإتيان بعشر سور وإن لم تكن فيها معارضة، وقال بعضهم أنّ العشرة دلالة على الكثرة وليس هو المقصود، وبيّن هذا الرأي ابن عطية في تفسيره قائلاً: "قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم إلا نظمه، فهذه غاية التوسعة، وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر؛ لأنّ هذه إنّما كانت تجيء معارضة سورة بسورة مفتراة، ولا تبالِ عن تقديم نزول هذه على هذه. ويؤيّد هذا النظر أنّ التكليف في آية البقرة إنّما هو بسبب الريب، ولا يزيل الريب إلا العلم بأنّهم لا يقدرون على المماثلة التامّة، وفي هذه الآية إنما التكليف بسبب قولهم افْتَرَاهُ فكُلّفوا نحو ما قالوا. ولا يطرد هذا في آية يونس. وقال بعض الناس: هذه مقدَّمة في النزول على تلك، ولا يصحّ أن يعجزوا في واحدة فيُكلَّفوا عشراً والتكليفان سواء، ولا يصحّ أن تكون السورة الواحدة إلا مفتراة، وآية سورة يونس في تكليف سورة متركّبة على قولهم: افْتَرَاهُ، وكذلك آية البقرة، وإنّما ريبهم بأنّ القرآن مفترى. قال القاضي أبو محمد: وقائل هذا القول

[29] *Ibid.*, (vol.17), p.325.
[30] *Ibid*

لم يلحظ الفرق بين التكليفَين: في كمال المماثلة مرّة، ووقوفها على النظم مرّة.ومَنِ في قوله: {مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} يراد بها الآلهة والأصنام والشياطين وكلّ ما كانوا يعظّمونه[31].

- **سورة الإسراء،** يقول عزّ وجلّ: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: 88].

في هذه الآية تحوّل أسلوب خطاب التعجيز والتحدّي من المخاطبة في الآيات السابقة باستخدام فعل الأمر إلى التقرير والإخبار بصيغة الشرط في قوله: { لَئِنِ اجْتَمَعَتِ}، مع أنّ حقيقة الأمر أنّه لا يمكن أن تجتمع الإنس والجنّ على أمر واحد ،ولكن المراد تعجيز الإنس، وذكرُ الجنّ مبالغة في تعجيزهم؛ لأنّهم إذا عجزوا عن الإتيان بمثله ومعهم الجنّ القادرون على الأفعال المستغرَبة فهم عن الإتيان بمثله وحدهم أعجز ، وقيل: يجوز أن يراد من الجنّ ما يشمل الملائكة عليهم السلام، وقد جاء إطلاق الجنّ على الملائكة كما في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [الصافات: 158]. نعم الأكثر استعماله في غير الملائكة عليهم السلام، ولا يخفى أنّه خلاف الظاهر، وزعم بعضهم أنّ الملائكة عليهم السلام حيث كانوا وسائط في إتيانه لا ينبغي إدراجهم إذ لا يلائمه حينئذ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وفيه أنّه ليس المراد نفي الإتيان بمثله من عند الله تعالى في شيء ممّن أُسند إليهم الفعل، وجملة{لا يَأْتُونَ} جواب القسم الذي ينبيء عنه اللام الموطئة وسدَّ مسدَّ جزاء الشرط، ولولاها لكان لا يَأْتُونَ جزاء الشرط وإن كان مرفوعاً، بناءً على القول بأنّ فعل الشرط إذا كان ماضياً يجوز الرفع في الجواب.[32]

وفي "إرشاد العقل السليم" أنّ في هذه الآية حسمَ أطماعِهم الفارغة في رَوْم تبديل بعض آياته ببعض، ولا مساغ لكونها تقريراً؛ لما قبلها من قوله تعالى: {ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا}، كما أنّ الإتيان بمثله أصعب من استرداد عينه، ونفي الشيء إنّما يقرّره نفي ما دونه، دون نفي ما فوقه؛ لأنّ أَصْعبية الاسترداد بغير أمره تعالى من الإتيان المذكور ممّا لا شبهة فيه،

---

[31] Ibn ʿAṭiyyah, *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (vol.3), p.155, wa Abū Ḥayyān, Muḥammad bin Yūsuf bin ʿAlī bin Yūsuf bin Ḥayān Athīr al-Dīn al-Andalusī. (1971). *Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr* (vol.5). Beirūt; Dār al-Kutb al-ʿIlmiyyah, p.209.

[32] Al-Alūsī, *Rūḥ al-Maʿānī.* (vol.9), p.158.

بل لأنّ الجملة القسمية ليست مسوقة إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، بل إلى المكابرين من قبله عليه الصلاة والسلام[33].

"ثمّ يزيد الحقّ تعالى بتأكيد اجتماعهم، فهو ليس فقط اجتماعاً على هدف الإتيان بشبيه القرآن، وإنّما وصف حال اجتماعهم بالظهير. وَالظَّهِيرُ: الْمُعِينُ. وَالْمَعْنَى: وَلَوْ تَعَاوَنَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ لَمَا أَتَوْا بِمِثْلِهِ فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا حَاوَلُوا ذَلِكَ مُتَفَرِّقِينَ!

وَفَائِدَةُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَأْكِيدُ مَعْنَى الِاجْتِمَاعِ الْمَدْلُولِ بِقَوْلِهِ: {لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ} أَنَّهُ اجْتِمَاعٌ تَضافَرَ عَلَى عَمَلٍ وَاحِدٍ وَمَقْصِدٍ وَاحِدٍ. وَهَذِهِ الْآيَةُ مُفْحِمَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ فِي التَّحَدِّي بإعجاز الْقُرْآن"[34].

- **سورة الطور**، يقول الله عزَّ وجلَّ: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: 33، 34].

وتختم آيات التحدّي في القرآن الكريم في سورة الطور بأسلوب الغَيبة بقوله تعالى أنّهم يقولون أنّ محمّداً عليه الصلاة والسلام تقوّل هذا القرآن وحقيقة الأمر أنّهم لا يؤمنون، ثمّ يتحدّاهم الله –عزّ وجل– بأن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين، وكأنّهم لم يعودوا ذوي أهمّية حتى يخاطبهم الله تعالى بالتحدّي فقد ثبت عجزهم".

"وَالتَّقَوُّلُ: نِسْبَةُ كَلَامٍ إِلَى أَحَدٍ لَمْ يَقُلْهُ، وَيَتَعَدَّى إِلَى الْكَلَامِ بِنَفْسِهِ وَيَتَعَدَّى إِلَى مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ بِحَرْفِ (عَلَى)، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة: 44، 45]. وَضَمِيرُ النَّصْبِ فِي{تَقَوَّلَهُ} عَائِدٌ إِلَى الْقُرْآنِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْمَقَامِ.

وَابْتُدِئَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: {بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} لِتَعْجِيلِ تَكْذِيبِهِمْ قَبْلَ الْإِدْلَاءِ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلِيَكُونَ وُرُودُ الِاسْتِدْلَالِ مُفَرَّعاً عَلَى قَوْلِهِ: {لَا يُؤْمِنُونَ} بِمَنْزِلَةِ دَلِيلٍ ثَانٍ. وَمَعْنَى لَا يُؤْمِنُونَ: أَنَّ دَلَائِلَ تَنْزِيهِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَقَوُّلِ الْقُرْآنِ بَيِّنَةٌ لَدَيْهِمْ، وَلَكِنَّ

[33] Muṣṭafā, Abī al-Su'ūd al-'Imādī Muḥammad bin Muḥammad (n.d) *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm.* (vol. 5) Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al-'Arabī, p.194. wa Al-Alūsī, *Rūḥ al-Maʿānī.* (vol.8), p.158.

[34] Ibn 'Āshūr, *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol.15), p.203.

الزَّاعِمِينَ ذَلِكَ يَأْبَوْنَ الْإِيمَانَ، فَهُمْ يُبَادِرُونَ إِلَى الطَّعْنِ دُونَ نَظَرٍ وَيُلْقُونَ الْمَعَاذِيرَ سَتْراً لِمُكَابَرَتِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ هَذِهِ طَعْناً فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْمُعْجِزَةُ الْقَائِمَةُ عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ تَقَوَّلَ عَلَى اللَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ قَدْ تَرُوجُ عَلَى الدَّهْمَاءِ تَصَدَّى الْقُرْآنُ لِبَيَانِ إِبْطَالِهَا، بِأَنْ تَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ}. أَيْ صَادِقِينَ فِي أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَوَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، أَيْ فَعَجْزُهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

وَوَجْهُ الْمُلَازَمَةِ أَنَّ مُحَمَّداً –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَحَدُ الْعَرَبِ وَهُوَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِمْ، فَالْمُسَاوَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الْمَقْدِرَةِ عَلَى نَظْمِ الْكَلَامِ ثَابِتَةٌ، فَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ قَدْ قَالَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ بَعْضُ خَاصَّةِ الْعَرَبِ الْبُلَغَاءِ قَادِراً عَلَى تَأْلِيفِ مِثْلِهِ، فَلَمَّا تَحَدَّاهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ وَفِيهِمْ بُلَغَاؤُهُمْ وَشُعَرَاؤُهُمْ وَكَلِمَتُهُمْ وَكُلُّهُمْ وَاحِدٌ فِي الْكُفْرِ كَانَ عَجْزُهُمْ"[35].

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45]. وهنا الالتفات من المفرد إلى الجماعة .

4– دِلالة الخطاب في التحدّي في العهد المدني

ورد التحدّي بالقرآن الكريم في سورة مدنية واحدة، وهنا سنقارن بين أسلوب الخطاب في هذه السورة وبين باقي آيات التحدّي المكّية.

قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23]. وهنا التفات من المتكّلم إلى الغَيبة. استهلّت الآيات بالخطاب للناس في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

[35] *Ibid.*, (vol.27), p.65.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 21- 23].

"أقبل -عَزّ شأنه- عليهم بالخطاب على نهج الالتفات؛ هزّاً لهم إلى الإصغاء، وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقّي، وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة، ويكفي للنكتة الوجود في البعض، و{يا} حرف لا اسم فعل على الصحيح وُضع لنداء البعيد، وقيل: لمطلق النداء أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأول ينادي بها القريب لتنزيله منزلة غيره إمّا لعلوّ مرتبة المنادي أو المنادى، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بُعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له والحثّ عليه لأنّ نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحثّ"[36].

"{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} عَقِبَ قَوْلِهِ: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً} [الْبَقَرَة: 22] . وَأُتِيَ بِإِنْ فِي تَعْلِيقِ هَذَا الشَّرْطِ، وَهُوَ كَوْنُهُمْ فِي ريب، وَقَدْ عُلِمَ فِي فَنِّ الْمَعَانِي اخْتِصَاصُ إِنْ بِمَقَامِ عَدَمِ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ مَدْلُولَ هَذَا الشَّرْطِ قَدْ حَفَّ بِهِ مِنَ الدَّلَائِلِ مَا شَأْنُهُ أَنْ يَقْلَعَ الشَّرْطَ مِنْ أَصْلِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ وُقُوعُهُ مَفْرُوضاً فَيَكُونُ الْإِتْيَانُ بِإِنْ مَعَ تَحَقُّقِ الْمُخَاطَبِ عِلْمَ الْمُتَكَلِّمِ بِتَحَقُّقِ الشَّرْطِ تَوْبِيخاً عَلَى تَحَقُّقِ ذَلِكَ الشَّرْطِ، كَأَنَّ رَيْبَهُمْ فِي الْقُرْآنِ مُسْتَضْعَفُ الْوُقُوعِ. وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدِ اشْتَطَّتْ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ عَلَى مَا لَوْ تَدَبَّرَهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ لَجَزَمَ بِكَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ جَاءَ عَلَى فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ مَا عَهِدُوا مِثْلَهُمَا مِنْ فُحُولِ بُلَغَائِهِمْ"[37]، بينما الخطاب في سورة يونس هو للمشركين كما ذكر أبو السعود في تفسيره[38].

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31)} [يونس: 31].

{قُلْ} أي لأولئك المشركين الذين حُكيت أحوالُهم وبيّن ما يؤدي إليه أعمالُهم احتجاجاً على حقّية التوحيدِ وبُطلانِ ما هم عليه من الإشراك. {مَن يَرْزُقُكُم مّنَ السماء والارض} أي منهما جميعاً، فإن الأرزاقَ تحصُل بأسباب سماوية وموادَّ أرضيةٍ أو من كلّ

---

[36] Al-Alūsī, *Rūḥ al-Maʿānī.* (vol.1), p.184.

[37] Ibn ʻĀshūr, *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* (vol.1), p.13.

[38] Abī al-Su'ūd, *Irshād al-ʻAql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm.* (vol. 4) p.141.

واحدة منهما توسعةً عليكم. وقيل مِنْ لبيان كلمة {مَنْ} على حذفِ المضافِ، أي مِنْ أهل السماء والأرض. {أَم مَّنْ يَمْلِكُ السمع والأبصار} أمْ منقطعةٌ وما فيَها من كلمةِ بل للإضراب عن الاستفهام الأولِ، لكنْ لا على طريقةِ الإبطالِ، بل على وجه الانتقالِ وصرفِ الكلام عنه إلى استفهام آخرَ تنبيهاً على كفايته فيما هو المقصودُ، أي من يستطيع خلقَهما وتسويتَهما على هذه الفطرة العجيبة، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالِهما من أدنى شيءٍ يصيبهما؟".[39] وقد ذكر المفسّرون أنّ الخطاب في سورة هود لكفّار مكّة.

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12)} [هود: 12].

"{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يوحى إِلَيْكَ} مِن البيّنات الدالّة على حقيقة نبوَّتِك المنادية بكونها من عندِ الله –عزَّ وجلّ– لمن له أُذنٌ واعية. {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} أي عارضٌ لك ضِيقُ صَدرٍ بتلاوته عليهم وتبليغِه إليهم في أثناء الدعوةِ والمحاجّة. {أَن يَقُولُواْ} لأن يقولوا؛ تعامِياً عن تلك البراهينِ التي لا تكاد تخفى صحّتُها على أحدٍ ممَّن له أدنى بصيرةٍ، وتمادياً في العِناد على وجه الاقتراح. {لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ} مالٌ خطيرٌ مخزونٌ يدلّ على صدقه. {أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ} يصدّقه، قيل: قاله عبدُ اللَّه بنُ أميةَ المخزوميُّ، ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنَّ رؤساءَ مكّةَ قالوا: يا محمد اجعل لنا جبالَ مكّةَ ذهباً إن كنت رسولاً، وقال آخرون ائتِنا بالملائكة يشهدوا بنبوّتك. فقال لا أقدِر على ذلك، فنزلت. كأنّه –صلّى الله عليه وسلّم– لما عاين اجتراءَهم على اقتراح مثلِ هذه العظائمِ غيرَ قانعين بالبيّنات الباهرةِ التي كانت تضطرّهم إلى القَبول لو كانوا من أرباب العقولِ، وشاهدَ ركوبَهم من المكابرة مَتنَ كلِّ صَعْبٍ وذَلولٍ، مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاءِ وتسميتِها سحراً مثل حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقّع منه أن يضيقَ صدرُه بتلاوة تلك الآيات الساطعةِ عليهم وتبليغِها إليهم فحُمل على الحذر منه بما في لعلّ من الإشفاق فقيل {إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ} ليس عليك إلا الإنذارُ بما أوحي إليك غيرَ مبالٍ بما صدرَ عنْهم منَ الردّ والقَبولِ. {والله على كُلّ شَيْء وَكِيلٌ} يحفَظ أحوالَك وأحوالَهم، فتوكّلْ عليه في جميع أمورِك، فإنّه فاعلٌ بهم ما يليق

[39] *Ibid.*, (vol. 4), p.191.

بحالهم والاقتصار على النذير في أقصى غايةٍ من إصابة المِحزّ"[40]. وفي آخر آيات التحدّي يذكر الله تعالى حال الكفّار وأقوالهم في الدنيا والآخرة، وهذا هو محور سورة الطور.

وقد ورد خطاب التحدّي والتعجيز للإتيان بمثل هذا القرآن في العهد المدني في سورة البقرة في قوله تعالى:

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23].فيها التفات من المتكلّم إلى الغَيبة.

سورة يونس قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: 38].

سورة هود قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [هود: 13، 14].

سورة الإسراء قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88].

سورة الطور قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: 33، 34].

مع أنّ الراجح من الترتيب الزمني –بحسب ما ذكره أكثر المفسّرين– أنّ آية التحدّي في البقرة هي الأخيرة نزولاً، حيث نزلت بالمدينة وهي تخاطب اليهود إلا أنّها أولى آيات التحدّي في ترتيب القرآن الكريم، وترتيب القرآن موقوف.

يتحدّى الله تعالى فيها الذين هم في ريب وشكّ في سماوية القرآن الكريم ويواجههم الحقُّ بأنّه هو الذي نزّل القرآن على عبده، ونلحظ صيغة التفخيم في الجمع {نزّلنا}، ثمّ يتحوّل إلى الغَيبة في الحديث عن نفسه حينما تحدّاهم بأن يدعوا شهداءهم ويبقى الخطاب خطاب مواجهة؛ زيادةً في التحدي في قوله { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، ونلحظ في سورة يونس وهود خطاب التحدّي لاتّهامهم بأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام افترى القرآن الكريم،

[40] Abī al-Su'ūd, *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm* (vol. 4), p.191.

وأسلوب الخطاب أسلوب مواجهة، بدأ بالآية الأولى بتحدّيهم أن يأتوا بسورة مثله وفي الآية الثانية يتحدّاهم الله –عزّ وجلّ– أن يفتروا عشر سور، ولكنّهم لم يستطيعوا الافتراء، ممّا يؤكّد عجزَهم ومعجزةَ القرآن الكريم ونبوّةَ محمّد صلى الله عليه وسلّم، ثمّ يتبع ذلك آية الإسراء تحدٍّ غير مسبوق وغير محدود بزمان أو مكان أو حتى جنس؛ ليقرّر الله تعالى معجزة القرآن إلى يوم القيامة وعجز خلقه على الإتيان بمثله، ثمّ خاتمة آيات التحدّي في سورة الطور. ويرى المتأمّل أن الخطاب هو خطاب غَيبة، وهو يصف حال الجاحدين وأقوالهم في القرآن وكأنّهم قد أقيمت الحجّة عليهم، وإن كان الخطابُ خطابَ تحدٍّ وتعجيز، ولكنّ التلوين هنا في آخر آيات التحدّي يوحي بأنّ المقصود بهذا الخطاب هو الإخبار عن حالهم إلى يوم القيامة، وأنّ التحدّي قائم إلى يوم القيامة بأن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين.

5–الخاتمة

بعد هذه الجولة الشيّقة في كتاب الله تعالى لمحاولة فهم مقاصده، وبعد التأمّل في تلوّن خطابه عزّ وجلّ للمخاطَبين نخلص إلى الآتي:

1– التعرّف إلى أساليب الخطاب في القرآن الكريم أدعى لفهم مراد الله تعالى والتأدّب بأدبه.

2– تعدّدت صيغ الخطاب في القرآن الكريم وأساليبه، وقد ذكر منها المفسّرون ما يزيد على الأربعين وجهاً لم تحظَ حتى وقتنا الحالي بالدراسة الكافية.

3– ورد خطاب التعجيز في القرآن الكريم في سياقات مختلفة لإثبات الربوبية والألوهية وضعف المخاطَبين.

4– تُعَدّ ظاهرة الالتفات والتحوّل في أسلوب الخطاب من أكثر الظواهر انتشاراً في القرآن الكريم، وعلى الباحثين أن يتأمّلوا فيها لاستجلاء بعض ما تُشعّه من قِيَم وأسرار.

5– يلحظ المتأمّل أنّ التحوّل في أسلوب الخطاب في سياق التعجيز ينبّه الذهن إلى مقاصد ومعانٍ خفيّة تزاد إلى المقصد الأصلي وهو التحدّي بالقرآن.

6– جعل الله سبحانه تعالى القرآن الكريم معجزة النبيّ الكبرى، وتحدّى به الجنّ والإنس إلى يوم القيامة بأساليب متعدّدة في العهد المكّي والعهد المدني، كما تحدّى به الكفّار واليهود.

7- دعا الله الناس والمؤمنين للاستماع إلى خطاب التحدّي والتعجيز مع إيمانهم به؛ وذلك ليعلمهم خطاب المعاجزين والكافرين به وليريَهم ضعف حجّتهم.

8- التحوّل في خطاب التعجيز من الله تعالى يفيد الزيادة في التبكيت والتوبيخ.

9- التحوّل في موضوع خطاب التعجيز من قِبَل الجاحدين دلالة على ضعفهم وسوء حجّتهم.

10- التحوّل في صيغ خطاب التعجيز في آيات التحدّي الخمسة من صيغ الخطاب في ثلاث الآيات الأولى إلى صيغ الغَيبة في الآيتَين الأخيرتَين لتثبت إقامة الحجّة عليهم إلى يوم الدين، وأنّه لا يمكن لبشر أو جنّ أو ملائكة أن تأتي بمثل هذا القرآن، فكانت الآيات الأخيرة تخبرنا أنّ حال الكفّار والجاحدين هو الطعن بالقرآن، وذلك لعدم إيمانهم به واستكباراً منهم وليس طلباً للحُجّة.

المراجع والمصادر:

REFERENCES

Muṣṭafā, Abī al-Su'ūd al-'Imādī Muḥammad bin Muḥammad (n.d) *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm (Tafsīr Abī al-Sa'ūd).* (vol. 194) Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al-'Arabī.

Abū Ḥayyān, Muḥammad bin Yūsuf bin 'Alī bin Yūsuf bin Ḥayān Athīr al-Dīn al-Andalusī. (1971). *Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr* (vol.5). Beirūt; Dār al-Kutb al-'Ilmiyyah.

Al-Alūsī, Maḥmūd bin ʿAbdullāh (1994) *Rūḥ al-Maʿānī.* (1st ed, vol.9) Taḥqīq: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭīyyah. Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyyah.

Al-Baiḍāwī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd 'Abd Allāh bin 'Umar bin Muḥammad al-Shairāzī (1997) Anuār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl. (1st ed, vol.5) Taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Raḥman al-Mar'asylī. Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.

Al-Farāhīdī, Abū 'Abd al-Raḥman al-Khalīl bin Aḥmad bin 'Amrū bin Tamīm al-Baṣarī (n.d) *Al-'Ain.* Taḥqīq: Mahdī al-Makhzūmī wa Ibrāhīm al-Sāmarā'i (vol.1) Lubnan: Dār wa Maktabat al-Hilāl.

Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Aḥmad (1964) *Al-Jāmi' li Ahkām al-Qur'ān (Tafsīr al-Qurṭubī)*, Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrahīm Aṭfish (2nd ed, vol.17) Al-Qāherah: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Rāzī, Muḥammad bin 'Umar bin al-Ḥasan (1999) *Mafātīh al-Ghaib: al-Tafsīr al-Kabīr (al-Rāzī),* (3rd ed, vol.23) Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al-'Arabī.

Al-Rāzī, Zayn al-Dīn Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Abu Bakr bin Abd al-Qādir al-Ḥanafī. (1999). *Mukhtār al-Ṣiḥāḥ*. Taḥqīq: Yūsuf al-Syeikh Muḥammad. Beīrūt: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah - al-Dār al-Namūdhajīyah.

Al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥman bin Naṣir bin 'Abd Allah. (2000). *Taysir al-Karīm al-Raḥman fi Tafsīr Kalām al-Manān.* (1st ed) Taḥqīq: 'Abd al-Raḥman bin Mu'allā al-Luwaiḥiq. Beirūt; Muassasah al-Risālah.

Al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥman bin Abī Bakar Jalāl al-Dīn (1988) *Mu'tarak al-Aqrān fi I'jāz Al-Qur'ān*, (1st ed, vol.1) Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Suyūṭī, 'Abd al-Rahman bin Abī Bakr (1957). *Al-Itqān fi 'Ulūm al-Qur'ān.* (vol.3) Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. Miṣr: Al-Hai'ah al-Misriyyah al-'Āmah lil Kitāb.

Al-Ṭabarī, Abū Ja'far, Muḥammad bin Jarīr bin Yazīd bin Kathīr bin Ghālib al-Āmalī. (2000). *Jāmi' al-Bayān fi Ta'wīl al-Qurān* (1st ed, vol. 18). Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Syākir. Beīrūt: Muassasah al-Risālah.

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd bin 'Umar (1986). *Al-Kashāf 'an Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl wa 'Uyūn al-Aqāwīl fi Wujūh al-Ta'wīl.* (3rd ed) Beirūt: Dār al-Kitāb al-'Arabī.

Al-Zarkashī, Muḥammad bin 'Abd Allāh. (1957) *Al-Burhān fi 'Ulūm al-Qur'ān* (1st ed, vol.2) Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Miṣr: Dār Iḥyā' al-Kutub, Dār al-Ma'rifah.

Al-Zabīdī, Muḥammad bin Muḥammad bin 'Abd al-Razāk (1993) *Tāj al-'Arūs min Jawāhir al-Qāmūs.* (1st ed, vol.33) Beirūt: Dār al-Fikr.

Ibn 'Aqliah, Muḥammad bin Aḥmad bin Sa'īd al-Ḥanafī al-Makkī Shams al-Dīn (2006) *Al-Ziādah wa al-Iḥsān fi Ulūm al-Qurān* (1st ed, vol.5) Taḥqīq: Majmu'ah min al-Muḥaqqiqīn. Al-Imārāt: Markaz al-Buḥūth wa al-Dirāsāt Jāmi'ah al-Shāriqah.

Ibnʿ Aṭiyyah, Abu Muḥammad ʿAbd Al-Ḥaq Bin Ghālib Bin ʻAbd al-Raḥman bin Tamām al-Andalusī al-Muḥarī (2001). *Al-Muḥarrar Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-ʿAzīz* (1st ed, vol.3) Taḥqīq: Abd Al-Salām Abd Al-Shāfī. Beīrūt: Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Ibn Fāris, Aḥmad bin Fāris Zakariyā al-Qazwīnī al-Rāzī. (1979) *Mu'jam Maqāyīs al-Lughah*. (vol.1) Taḥqīq: ʻAbd al-Salām Muḥammad Ḥārūn. Beirūt: Dār al-Fikr.

Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol.13) Tūnis, al-Dār al-Tūnisiyyah li Nashr.

Ibn Juzayy, Muḥammad bin Aḥmad bin Muḥammad bin ʻAbd Allāh al-Kalbī al-Gharnāṭī (1996) *Al-Tashīl li ʻUlūm al-Tanzīl*. (1st ed, vol.1)Taḥqīq: ʻAbd Allāh al-Khālidī. Beirūt: Syarikat Dār al-Arqam bin Abī al-Arqam.